



استيقن بالعنوان نقد الناقدين الذين حفظت معزوفتهم غيباً من كثرة ما سمعتها، فرأيت أن أوفر عليهم عناء تكرارها في التعليقات والتعقيبات، وصدرت بها المقالة توفيراً لأوقاتهم في كتابة النقد ووقيتي في قراءته.

-1-

لو أن سوريا كلها استسلمت - لا قدر الله - وهادئت النظام ولم تبق سوى درعا أو دوما وحدهما متشبثة بالثورة مرابطة على خط النار، فهل يجوز أن نقول لدوما أو درعا: عليك وحدك أن تكملي المشوار وأن تستمري بالمعركة حتى الانتصار وتحرير سوريا من أدنى الجنوب إلى أقصى الشمال؟ لا يقول بهذا عاقل، فإنه حمل تقاد تعجز سوريا كلها عن حمله، فكيف نكله إلى الجزء الصغير منها ونطالب به بما عجز عنه الكل الكبير؟

إن حجم سوريا في الأمة أقل من حجم درعا ودوما في سوريا بكثير، وكما لم يجُز أن يحمل جزؤها الصغير همّها الكبير فكذلك لا نرى من العدل والمنطق مطالبة سوريا بحمل همّ الأمة كلها وحل مشكلاتها العالقة منذ عشرات السنين. فلماذا يطالبنا بعض "الجهاديين" بأن نعلن الحرب على القريب والبعيد، وأن نستعدي أمم الأرض، وأن نتبرأ من الأنظمة والدول ونکفرها قاطبة لنحصل على شهادة حسن سيرة وسلوك، ولكي ثبت ولاءنا لأمة الإسلام ونخرج من شبهة الولاء لسايكس وبيكو وتهمة التعصّب للوطن الصغير؟

قدم ثوار سوريا عشرات الآلاف من الشهداء وفتح الله عليهم فحرروا ثلثي مساحة البلد، ثم جاء عدو ذميم لئيم مجرم أثيم اسمه داعش، فطعنهم في ظهورهم واستباح دماءهم فأوغل فيها بلا رادع من دين ولا وازع من ضمير، وأغتال خيار قادتهم وقتل الآلاف المؤلفة من المجاهدين الصادقين، واحتل غدراً وعدواناً ثلاثة أرباع الأرض التي حرروها بالدماء الزكية والتضحيات الجسام.

لم يكتفَ كثيرون من إخواننا المسلمين خارج سوريا بأن لاذوا بالصمت ونحن نُذبح ذبح الدجاج والناعج، بل إنهم صفقوا للقتلة الغادرين وزعوا عليهم أوسمة الفخار وعزفوا معهم ألحان الانتصار، وحين دافعنا عن أنفسنا وقاومنا المعذبين لامونا قائلين: لو لم تكونوا صحوات خائنين لما تشبّثتم بمشروع التقسيم الصليبي الذي فرضه على أرضكم سايكس وبيكو ولما فضّلتُموه على دولة الخلافة والإسلام! **نقول لهؤلاء الظالمين (وما أكثرهم): يا إخواننا الذين تحملون الحال: أنصفوا، أو عودوا إلى الصمت والخذلان، فإنهم أهون علينا من التصفيق للقتلة الغادرين الذين يطعنوننا في ظهورنا ويذبحوننا من الوريد إلى الوريد.**

نشر أخونا الفاضل عبد المنعم زين الدين من قريب مقالة لطيفة عنوانها "هل السوريون مسلمون؟ وهل عندهم علماء؟". وما كان أغناه عن نشرها لو أن الناس تحلوا بالإنصاف ولم ينتقصوا من علماء الشام الذين يملؤون الشام بالآلاف. لا أعني كبار العلماء الذين يعرفهم الملايين، بل أعني صغار العلماء العاملين وطلبة العلم المخلصين الذين تشبّثوا بالأرض ورفضوا مفارقة ميادين الجهاد، وفي كل ناحية وكل قرية في الشام منهم علماء وخطباء ودعاة ومربيون.

لكنَّ أحد التنظيمات الجهادية الكبيرة في سوريا (الذي يصرّ علىربط نفسه بتنظيم آخر خارجها) لم يجد في كل أولئك العلماء وطلبة العلم من السوريين من يصلح للفتوى والقضاء، فهو "يستورد" المُفتين والقضاة والشريعيين من بلدان الجوار، وبين حين وحين ينشق عنه قاضٍ أو "شرعٍ" ويلحق بتنظيم مُعاد له ذات على يديه الولايات! وفي كل حين وحين يشكو الناسُ في مناطق سيطرته من تعتَّق قضاكه وعدم استيعابهم لطبيعة المجتمع السوري الذي يمارسون سلطتهم عليه، ولكن هذا التنظيم ما يزال متسبباً بسياساته العنصرية ضد السوريين، فإذا شكونا من تعتَّقه نعتَّنا أنصاره بالعنصرية والسايكس-بيوكويَّة. حسبنا الله ونعم الوكيل.

يشكو أحرار سوريا منذ دهر من تفرق كتائبهم ويدعون الله كل يوم أن يرصن الصدوف وأن يؤلف بين القلوب ويجمع المتفرقين. ولعل الله استجاب دعاءهم، فعطّف قلوب المجاهدين بعضهم على بعض وسخر لهم من يسعى في المصالحة والتقارب، حتى كان من ذلك اجتماعُهم في كيانات كبيرة، لم ترق إلى الوحدة الكاملة المرجوة ولكنها خطوة في الطريق الصحيح وبديل متواضع عن التشرذم الكريه والتفرق المذموم، وقد تبنّت تلك الكياناتُ الجامعةُ مشروعَ الجهاد المحلي وتتوافق على إقامة دولة الكرامة والحرية والقانون.

فلم يرقُ هذا الاجتماع لبعض المنظرين من خارج الحدود، واعتبروه تجمعاً فاسداً قام على غير طاعة لأنه أنشئ لخدمة مشروع استعماري تقسيمي وليس لخدمة مشروع الوحدة الإسلامية المنشود، المشروع العابر للحدود الذي يقوم على قاعدة "المنهج النقِّي" لا على أساس وطني محدود. مرة أخرى نجد أنفسنا -رغمَاً عنا- من جماعة سايكس وبيكو ومن أنصار

التقسيم الاستعماري لبلاد المسلمين. مرة أخرى لا نجد جواباً سوى قولنا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

-5-

كلما شكونا من تسلط المقاتلين الوفدين على سوريا من خارجها (الذين يسمون أنفسهم مهاجرين) كلما شكونا من تسلطهم على إخوانهم السوريين ومن فرضهم أنفسهم عليهم والتدخل القسري في معركتهم وقضيتهم ردوا علينا بتلك الجملة المشهورة: "سوريا للمسلمين كلهم وليس للسوريين!"

وهم إذا قالوها لم يقصدوا البوادي والقفار المهجورة، بل يعنون المدن والبلدات المعمورة، فإذاً سيكون معنى قولهم ذاك هو أن حلب ليست لأهل حلب ودرعا ليست لأهل درعا وحمص ليست لأهل حمص ودير الزور ليست لأهل الدير! ثم إن المدن ليست بشوارعها وحائقها العامة بل بأحيائها وبيوتها المسكونة. فكان أولئك الناس يقولون: هذه البيوت والأملاك ليست لأصحابها وساكنيها؛ إن بيتك وأملاكه ليست لكم يا أيها السوريون، وإنما هي للمسلمين!

هذا الهراء يردد كثيرون بلا عقل ولا تفكير، فإذا قلنا لهم: "بل إن سوريا لأهلها، وقرار السلم وال الحرب فيها ملك لهم وحدهم، ولا يحدد مستقبل سوريا ومصيرها إلا السوريون". إذا قلنا لهم ذلك قالوا: "أنتم تقدمون الولاء للأرض على الولاء للمسلمين وتتحدثون بمنطق الوطنية لا بمنطق الدين، إن سوريا ليست لكم وحدكم، إن سوريا أرض مباحة لكل المسلمين".

ويحكم يا مغفلون! لمن تكون البلاد إن لم تكن لأهلها؟ إن زعمتم أن التفريط في الحق مما يأمر به الدين فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. بل إن سوريا للسوريين كما أن مصر للمصريين ولibia للليبيين وفلسطين للفلسطينيين، وإذا كان الدفاع عن حقنا في تملك أرضنا وقيادة معركتنا بأنفسنا سايكـسـ بيـكـوـيـونـ.

الزلزال السوري

المصادر: